قراءة في كتاب: «تأملات حول المنفى» لإدوارد سعيد [1-2]

تأملات في النقد الادبي والاستشراق وآلام المنفى

إدريس الخضراوي *

■ تشغل أعمال إدوارد سعيد موقعا متميزا ولافتا ضمن جهود النظرية في مجال الدراسات النقدية والأنثربولوجية وتاريخ الأفكار. فمنذ أن أصدر كتابه الأول: «جوزيف كونراد وقص السيرة الذاتية» سنة 1966، مرورا بـ«الاستشراق» ((1978 ثم «العالم والنص والناقد» ((1983 و«الثقافة والإمبريالية» ((1993، لم يكف إدوارد سعيد عن إحداث خلخلة عنيفة للمفهوم الحداثي للأدب والدراسة النقدية. فالحوار الثري والخصب الذي تمكن من القيام به مع أهم منظري ما بعد البنيوية مثل دريدا وميشيل فوكو، هو الذي مكنه من بلورة استقصاءات عميقة في صلب المعرفة، وتأسيس منظور جديد في التعامل مع النصوص كحادثة ثقافية تشتبك مع الخطابات والمؤسسات والأنساق الثقافية، الشيء الذي يستوجب قراءتها في ضوء هذه العلاقات المركبة التي تنسجها مع هذه المحافل بهدف الوقوف على الطابع الدنيوي لهذه النصوص والعلاقات التي تقيمها مع كل أنماط القوة والسلطة مقاومة أو تواطؤا. وهذا المسلك الذي سار عليه إدوارد سعيد في قراءة الاستشراق الغربي من جهة والنصوص السردية التي تواطأت مع وجهة نظره أو حاورته هو الذي مكنه من أن يبين إلى أي مدى كانت الهيمنة الثقافية للغرب على الثقافات الأخرى سيرورة واعية وهادفة تحكمها إرادة أفراد وكذلك إلزامات مؤسسية تخترع حاجاتها وتصوغ كل موضوعاتها المتعلقة بالآخرين لأنها تنطلق من فهم للذات الغربية يرى فيها عنصر تفوق عرقي وثقافي. وليس غريبا أن تغدو هذه الاستقصاءات اليوم من أهم مرتكزات النقد الثقافي والدراسات الثقافية والتاريخانية الجديدة والدراسات النسوية، وغيرها من التيارات الفكرية والراديكالية التي تمثل نوعا من الفكر المضاد والمقاوم.

ضمن هذا الإطار يندرج كتاب إدوارد سعيد: «تأملات حول المنفى» ((1، والذي قام بترجمته إلى العربية الناقد السوري ثائر ديب، وقد صدر عن دار الآداب ببيروت السنة الماضية، ضمن القطع المتوسط (383 ص). وفي هذا المؤلف الهام يكشف إدوارد سعيد كالمعتاد عن عمق في التحليل والتأويل وقدرة على استثمار مجالات معرفية متنوعة، ليس من أجل فهم الواقع وحسب وإنما بغية المساهمة في صنعه. وتلكم قيم علمية ميزت كتاباته السابقة وفي طليعتها: «الاستشراق والثقافة والإمبريالية». وإذا كنا نجد إدوارد سعيد يسبر في هذا الكتاب المميز أغوار موضوعات متعددة كالمنفى والنقد والاستشراق والتذكر والهوية والقومية والتاريخ والأدب وارتحال النظرية..إلخ، فإنها على تنوعها، تصب كلها في القضية التي شكلت انشغالا لافتا في منجزه الفكري وهي: التزام خط ثقافي واضح يناصر الحق ويقاوم ثقافيا كل أشكال السطوة، مهما كان مصدرها ومهما بلغت حدتها. وبهذا المعنى فإن هذا العمل يتحاور ويتكامل مع الأعمال الأخرى التي كتبها سعيد وعمل من خلالها بدأب على تعبيد الطريق أمام وعي جديد بالآخر، لا يتورع عن مقاومة مظاهر التحيز في ثقافته، وانتقاد أشكال التناقض في تمثيلاته للآخرين.

تغطي مقالات الكتاب فترة طويلة تقارب خمسة وثلاثين عاما، وهي فترة قضاها سعيد أستاذا للأدب المقارن بجامعة كولومبيا، ومثلت لحظة بارزة في مساره الحياتي. ولعل ما زاد من تعميق هذا الإحساس، كما ينقل سعيد، كون الجامعة التي اشتغل بها توجد بمدينة نيويورك التي كانت تمثل في ذلك الوقت بوابة العالم الأمريكي على العالم، وقلعة لأجناس من البشر من ثقافات وأعراق وجغرافيات مختلفة، وحقلا لحركات فكرية وفنية راديكالية ومقاومة. وهو الوجه الذي بدأت ملامحه هاته في التلاشي بمرور الزمن، حيث غدت نيويورك موقعا رئيسيا من مواقع الإمبراطوريات الإعلامية والتكتلات الضخمة. ويحكي إدوارد سعيد عن الجو العام الذي كان يسود هذه المدينة إبان التحاقه بجامعتها، حيث كان النقاش الذي يخوضه مثقفو نيويورك على أشده حول الستالينية والشيوعية، وهو النقاش الذي لم يجد فيه إدوارد سعيد ما يشده إليه، بالقدر الذي وجد في الأفكار المناوئة والمضادة للحرب ضد فيتنام، والتي كانت تفصح عنها بقوة كتابات فرد دوبي الأشد راديكالية وانفتاحا. وليس غريبا أن يتذكره سعيد بالتياع شديد في هذا الكتاب، لأن مقالاته ـ أي فرد دوبي ـ التي مثلت في ذلك الحين عملا تفكيكيا قويا بالمعنى الفكري والسياسي، هي التي «شجعت إدوارد سعيد على الاهتمام بالأساليب الجديدة في التنظير الفرنسي وبالقص والشعر التجريبيين، وفوق ذلك كله بفن المقالة كطريقة لاستكشاف ما هو جديد وأصيل في زمننا بعيدا عن قيود الاختصاص». (2) هذا الاتصال بفرد دوبي هو الذي أوحى لسعيد بأن الطريق الذي يشقه لا يتقاطع بشكل أو بآخر مع مجلة البارتيزان ((3، لأنه طريق يتخلق من رحم نيويورك أخرى غير مدينة الإمبراطوريات الإعلامية، من نيويورك جماعة الشتات من العالم الثالث وسياسات المنفى والسجالات الثقافية والحروب ضد الثقافة المكرسة. وهو ذات الموقف الذي أفصح عنه فرد دوبي من خلال دعمه القوي لإدوارد سعيد وهو الوافد الجديد والغريب على هذه المدينة في ذلك الوقت.

ادوارد سعيد

لم يكن ـ إذن ـ على هؤلاء الغرباء واللاجئين والمنفيين بوصفهم نتاجا للتجربة المقرفة المرتبطة بالحرب الكولونيالية والتوسع الاقتصادي على حساب أطراف أخرى، سوى الانتظام في محيط جديد، حيث يشكل الإبداع بكل ألوانه وأنواعه أشد الأشكال الثقافية مقاومة وممانعة ضد من ينادون بامتلاكهم ثقافة نقية وعظيمة، ويوطنون في نفوس الآخرين الإحساس بأنهم إما عبيد أو دونيون أو شرقيون أو غير جديرين بالاهتمام والاعتبار. ومثل هذا الوعي المضاد لم يكن ليتبلور ويعبر عن نفسه من دون صعوبات أو عراقيل تحول دون قيامه. وتكفي الإشارة هنا إلى ما تعرض له إدوارد سعيد من كل ألوان المضايقة، حيث أحرق مكتبه بالجامعة، لأنه المفكر الذي ساهم بقوة في هذه المراجعة النقدية العميقة للمركزية الغربية، والتي «مكنت القراء والنقاد من رؤية البؤس النسبي الذي تنطوي عليه سياسات الهوية والسخف الذي ينطوي عليه إثبات نوع من الأولوية التي لا يمكن الجزم بها في حقيقة الأمر إلى أحد التقاليد على كل ما عداه». (4) لقد دافع إدوارد سعيد عن فكرة أن المستقبل، كما تضيئه هذه الأشكال من التفكير التي يبلورها، لا يمكن إلا أن يتأسس على الفكرة التي قالها تي إس إليوت ذات مرة، إذ لا يمكن أن يحرم الواقع من الأصوات الأخرى التي تقطن الحديقة. ((5 ومعنى ذلك أن المستقبل يمكن أن يكون مجديا حين يتأسس على قيم التواصل والتعارف والاختلاف الندي والاعتراف المتبادل.

من الصعب الإحاطة في هذه القراءة بجميع القضايا التي تثيرها هذه المقالات، فهي تتصل، كما قلنا سابقا، بالأدب والنثر الروائي العربي والسينما والرقص...، غير أن ما يربط بينها على نحو بارز هو تشابكها، بوصفها ممارسات جمالية، مع السياسي، بحيث يغدو الإعجاب براقصات مثل تحية كاريوكا أو بنجوم سينمائيين مثل جوني (طرزان) وإيسمولر تعبيرا عن ذلك الحراك القوي، وعن القدرة الحرة التي لم تستغرقها الحياة السياسية كلية ولم تقض على ما فيها من تخلق وعنفوان. و إذا دققنا النظر في ما يتناوله إدوارد سعيد في مقالات هذا الكتاب، أمكننا أن نلاحظ أن ثمة ثلاثة موضوعات هامة تلتقي عندها كل مضامين هذا العمل وهي: النقد الأدبي والاستشراق وآلام المنفى. وهي تتفاعل فيما بينها وتتقاطع، الشيء الذي يجعلها حاملة لتأثيرات أغلب التيمات التي شكلت هاجسا بالنسبة له، سواء كانت ذات طبيعة سياسية أو تاريخية أو جمالية.

1. النقد الأدبي

انطلاقا من السرد الذي يجلو المشترك بين من يعيش المنفى واللجوء والتهميش يدخل إدوارد سعيد إلى مناقشة تيمة مركزية في أعماله الفكرية وتتعلق بكيفية قراءة النصوص الأدبية وتأويلها بما يستجيب لمتطلبات التجربة التاريخية وأهميتها، وهو بذلك يرسم أفقا لما ينبغي أن تكون عليه وظيفة النقد في علاقته بالأدب. فلكي يبلغ النقد الأدبي ذلك المستوى من الوعي الحقيقي والمنتج بالظاهرة الأدبية بوصفها فعالية فكرية وثقافية وجمالية، فإن عليه أن «يقوم الأدب على أساس أنه عمل فرد منشبك في ظروف يسلم بها الجميع مثل الإقامة والجنسية والمحلة المألوفة واللغة والأصدقاء إلخ....» (6) لكن كيف يمكن للدارس أن يجمع بين هذه العناصر وكيف يفصلها، وكيف يقرأ العمل وشرطه الدنيوي؟ فالنقد عندما ينشغل بالاشتراطات الدنيوية للأدب بملامحها السلبية والإيجابية سيحمل شحنة من القلق فريدة وعناية كبيرة بالتفاصيل، بما يجعله مختلفا عن ذلك النقد المكرس الذي كثيرا ما يلجأ إلى تنفيه هذه العناصر والاستخفاف بها وتجاهلها، إما بدعوة صيانة استقلالية الأدب، أو بذريعة أولوية البحث في شعرية الأدب بهدف فهم القوانين التي تحكم اشتغاله. وهذا النقد الذي رعاه بعض الحداثيين مثل تي. إس إليوت ودعاة النقد الجديد، هو الذي كرس القطيعة بين النصوص والتاريخ، واستبعد كل أوجه الحياة عن الفن. وحتى عندما يستحضر إدوارد سعيد نقادا آخرين كجورج لوكاش أو تلميذه لوسيان كولدمان أو كلينت بروكس أو بول دي مان، وغيرهم من الدارسين الذين تتبدى مشاريعهم النقدية منفتحة على مرجعيات الأدب، ومتمردة على الفهم الحداثي للأدب، فإنه يجد في أعمالهم ذلك التعبير عن الإجماع ذاته الذي ميز النظرية النقدية الغربية وحدد موقفها المستبعد للتجربة التاريخية اللصيقة بالتوسع الإمبراطوري ما وراء البحار بكل ما رافقه من إخضاع وإذلال وإسكات لأصوات شعوب وثقافات توجد خارج أوروبا. وبمعنى آخر، فإن هذه الاجتهادات حتى وإن كانت تقول بالعلاقة المشروعة والمبررة بين المنتج الأدبي والسياق الثقافي العام، فإنها لا تذهب في فهم هذه العلاقة إلى مدى تستكشف فيه طبيعة العلاقة بين التمثيلات الأدبية والحركة التوسعية التي قادها الغرب باتجاه دول آسيا وإفريقيا والعالم العربي منذ القرن الثامن عشر. ولذلك فهي تبدو في مقاربة سعيد متواطئة ومنحازة.

يعتقد سعيد أن ثغرات هذا النقد وتحيزاته تنكشف بمجرد ما يقابله المرء بتلك الإنتاجات التي تحققها الأصوات الجديدة لكاتبات نسويات يُعتبرنَ أن منجز النقد الأدبي قد تشكل في غياب تام لصوت المرأة. ويذكر إدوارد سعيد كتاب «المجنونة في العلية» لساندرا غيلبرت وسوزان غوبار، وهو كتاب يقر بأن ثمة «حضورا أنثويا قد طرد إلى العلية بفعل إقصاء متعمد ومبرمج. وإن إغفال هذا الحضور أو الاكتفاء بملاحظته واحتجازه احتجازا صارما في مكان بعيد يعني إنكار شرعية تجربة جديرة تماما بتمثيل مساو».(7) وهذا لا يعني أن النقد النسوي قد نأى بنفسه عن الشكلانية وإغراءاتها، بل إن ما لفت انتباه القراء إلى هذا النقد هو قدرته على المزج بين مقتضيات الشكل وإرغامات التجربة التاريخية التي طالما تجاهلتها النقاشات الأدبية ولم تعترف بها. وضمن هذا الإطار يندرج كتاب: «اللعب في الظلام» البياض والخيال الأدبي لتوني موريسون باعتباره مثالا ضافيا ومميزا. فما يشغله، كما يقول سعيد، هو الطرائق التي يحول بها الكثير من الكتاب خلفيتهم الاجتماعية إلى خصائص تنعكس على مستوى اللغة وتولد التواءات وتشوهات فيها. ومن هذا المنطلق يمكن أن يفهم المرء انشداد إدوارد سعيد إلى كتاب مثل جوزيف كونراد وميرلوبونتي وسيوران وفيكو وتيودور أدورنو، لأن كل واحد منهم يقدم شهادة مقلقة، انطلاقا من تجربته التي قارع فيها ظروفا صعبة ومهددة لم يكن بالإمكان تجاهلها أو غض الطرف عنها.

يميز إدوارد سعيد بين صنفين من النقد. فهناك أولا النقد الذي يعنى بدراسة شاعر أو كاتب ما بهدف استجلاء كل المصادر التي شكلت تجربته الفنية وأغنت معانيها. وهذا النوع من النشاط يقوم به كولردج مثلا، أو يقرأ أدبا معينا كالأدب الإنجليزي ليستخلص من خلاله عناصر تقليد عظيم مثلما يفعل ليفس تحديدا. وهناك ثانيا النقد الذي يبدو في الكثير من تحققاته خارجا عن النقد منظورا إليه على أنه نشاط له معاييره الداخلية الخاصة. وهذا الشكل من النشاط النقدي الأشد فردانية مثلما تجلوه أعمال تيودور أدورنو أو ر. بلاكمور يتميز بكونه لا يفصل بين الأشكال الأدبية والتجربة التاريخية، بل ينظر إلى هذه الأشكال باعتبارها ممارسات اجتماعية يقود الاستبصار الجيد لها إلى فهم أشياء ذات صلة بالمجتمع وقيمه وعاداته. وعلى هذا النحو فإن الأشكال التي قد تبدو للمرء أشد بعدا عن المجتمع كالموسيقى الغنائية والموسيقى الإثنا عشرية مثلا هي من أفضل الأمكنة لرؤية بصمة المجتمع على الذات وما يحدثه فيها من ضروب التشويه أو التحدب والتقعر كما قال فريديريك جيمبسون». (8) ولذا فإن فعل النقد كممارسة يستلزم نوعا من الإيمان بالمستقبل وبالمشاركة في رسم ملامحه والإسهام في صياغته أو صنعه والتأثير فيه.

وانطلاقا من النموذجة التي يقدمها بنجامين للأدب اعتمادا على قراءته لمارسيل بروست حيث يميز بين أدبين أحدهما توجيهي وينطبق عليه ما يكتبه بروست والثاني مؤثر وتمثله كتابات بيغي، يطرح إدوارد سعيد تمييزا آخر بين نمطين من النقد ينضافان إلى التصنيف الأول. فهناك النقد الذي يحافظ دوما على نوع من المسافة، بحيث لن تجد فيه ذلك الإصرار على نقل رسالة إيديولوجية معينة إلى القارئ كما يمكن للمرء أن يستشفه من أعمال تيودور أدورنو، أما النمط الثاني فهو المكافئ لنموذج بيغي، إذ يراهن ممارسوه على التأثير في القارئ بشتى الطرق الممكنة ودفعه إلى أن يأخذ ما يقدمونه ويستخدمه في غير مكان.

ثمة عوامل عديدة مما يحيط بالنقد تجعل المرء يتصور له مستقبلا يشق مسارا آخر. فمن جهة هناك الاتساع الملحوظ في الثقافة الجماهيرية واختلال المعايير المحددة لما ينبغي أن يقرأ واحتمال أن يغدو النقد الذي يكتبه الأكاديميون هامشيا، فضلا عن الأصوات النسائية الآخذة في الظهور وكذلك أصوات المثقفين من خارج أوروبا.. وكل ذلك يضع شروطا مقيدة للنقد ومعينة لأفقه الذي لا مكان فيه للمنظوماتية والنظرية وإنما للتصلب الذي تفصح عنه تلك الممارسات من النقد المعارض ذي الوظيفة العلمانية والاستقصائية والمتحركة دون كلل.((9 فقوة هذا النقد الذي يدرج إدوارد سعيد ضمنه أعمال دوناتو لم «تكن في أي مكان أكثر فائدة منه في الضغوط المتواصلة المبذولة ضد الامتيازات أو السلطة الممنوحة للنصوص الجمالية أو الثقافية على أساس الطبقة أو العرق أو الجنس. فالرؤية المركزية الأوروبية للثقافة قد تآكلت بعض الشيء، ودعاوى الثقافات التابعة والتيارات النظرية التي تسير بعكس قاعدة البراغماتية الإمبريقية المسيطرة والقطيعة هي دعاوٍ محسوسة لا يمكن تجاهلها».(10).

لعل الفكرة التي يمكن أن يستوحيها المرء مما يقوله إدوارد سعيد، هي أن النقد الذي تمثله المقالة بامتياز، لا يجد مكانه بين جدران الفصول الدراسية. فما يمارس داخل هذه الفضاءات هو نقد مهمته محافظة أو وصائية، فهو يكرس شكلا معينا للقراءة والتأويل، في حين أن النقد الذي يمكن أن يؤثر في المستقبل هو الذي يضرب بجذوره عميقا في المادة الاجتماعية والإيديولوجية، ويعبر الحدود بين التخصصات ويسقط الحواجز بينها. فهو لا يدافع عن مواقع مكتسبة بقدر ما لا يألو جهدا في التبرؤ من الصنمية الاستهلاكية وإنكارها ومقاومة أشكال هيمنتها. وإذا ما أدرك المرء أن التحولات التي تشهدها الثقافة الحديثة والتي تتجه إلى إبداع شتى الوسائل التي تتيح حكما سلسا للمواطنين وهمودا سياسيا، فإن النقد كممارسة فكرية ثقافية يغدو حضوره ملحا. ذلك الحضور الذي لن تتصور جدواه ما لم يدافع الناقد عن الأثر الاجتماعي لعمله وعن دوره التوجيهي كما يصفه غرامشي، ويعمل على توضيحه بكل قوة.

* باحث من المغرب

الهوامش:

1 ـ إدوارد سعيد : مقالات حول المنفى، ترجمة : ثائر ديب، دار الآداب، بيروت، لبنان 2004.

2 ـ نفســـــــــــه، ص 8.

3 ـ «البارتيزان ريفيو» هي المجلة التي جمعت حولها جماعة المثقفين اليساريين الراديكاليين الذين عرفوا بمثقفي نيويورك. أسسها راف ونقاد آخرون. ومنذ عددها الأول الصادر سنة 1937 بعد أن أعيد تنشيطها، عبرت المجلة عن روح النضال ضد الفاشية والحرب والدفاع عن الاتحاد السوفييتي والدعوة إلى أدب البروليتاريا. ومن أهم كتابها من جماعة نيويورك ريتشارد شيس وإرفينج هو ولونيل تريلينج وإدموند ويلسون وألفريد كازن وفيليب راف، وقد ارتبط بها مثقفون آخرون. وقد شكلت الروابط بين السياسة والجماليات، الجدلية الأساسية لهؤلاء المثقفين الذين جمعوا بين الثقافة ذات الطابع الكوزموبوليتاني (المنفتح على العالم) والسياسات الراديكالية. لمزيد من التوسع يمكن العودة إلى : فنسنت ليتش : النقد الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينات، ترجمة : محمد يحيى، مراجعة وتقديم : ماهر شفيق، المجلس الأعلى للثقافة، مصر 2000، ص 99.

4 ـ نفســـــــــــه، ص 14.

5 ـ إدوارد سعيد : الثقافة والإمبريالية، ترجمة : كمال أبو ديب، الطبعة الثانية، دار الآداب، بيروت، 1998، ص 392.

6 ـ إدوارد سعيد مقالات حول المنفى، ص 20.

7 ـ نفســـــــــــه، ص 26.

8 ـ نفســـــــــــه، ص108

9 ـ نفســـــــــــه، ص: 111.

10 ـ نفســـــــــــه، ص: 111.

إصدارات اردنية

محمد مندور: شيخ النقاد في الأدب الحديث

عمان ـ «القدس العربي»:

عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان وبيروت صدر مؤخرا كتاب «محمد مندور 1907 ـ 1965: شيخ النقاد في الأدب الحديث» للناقد والأكاديمي الأردني د. محمود السمرة ، وجاء في كلمة على الغلاف الأخير للكتاب «لقد كان افتتاح الجامعة المصرية عام 1925 بداية التفكير النظري في الأدب، وكان كتاب طه حسين «في الشعر الجاهلي» هو باكورة الإنتاج التطبيقي لهذا التفكير ومقدمة لبداية «نظرية الأدب» في اللغة العربية ،وهذه النظرية التي تحمل صياغتها أبناء الجيل الجامعي الجديد ، وعلى رأسهم محمد مندور، ويرى مندور أن اللغة العربية لم تعرف المذاهب الأدبية إلا في العصر الحديث، وكان طه حسين رائدا في إدخال المنهج الفرنسي المعروف باسم تفسير النصوص ،ونما هذا المنهج على يد محمد مندور، نستطيع أن نستخلص منطلقات هذا المنهج من كتاباته».

الكتاب ضم الفصول التالية: سيرة مندور، مندور والنقد القديم، مندور والنقد الفني، مندور والمسرحية، مندور والشعر العربي الحديث.

يقول د. السمرة في مقدمة الكتاب عن سيرة هذا الناقد «خاض مندور في حياته ثلاث معارك أدبية هامة، الأولى في عام 1942 وهي معركة لغوية مع الأب أنستاس الكرملي، والمعركة الثانية مع عباس محمود العقاد، والمعركة الثالثة حول الشعر الجديد، وفي عام 1965 غادر مندور دنيانا بعد أن ترك لنا انتاجا ثرا جعله شيخ النقاد في أدبنا المعاصر ويتابع الناقد السمرة حديثه عن مندور قائلا «والآن ماذا رأى معاصرو مندور فيه؟

عندنا شهادتان، أولاهما في «المرايا» لنجيب محفوظ، وعلى الرغم من أن نجيب محفوظ ألبسه قناعا، وسماه زهير كامل إلا أن كل هذا لا يجعله يخفى علينا، يقول نجيب محفوظ».. وزهير كامل الناقد عانى انقلابا من نوع آخر في الوقت نفسه، فبكل استهانة مضى يتاجر بالنقد، ومضى يتقبل الهدايا والنقود، ويقيم الفن والفنانين تبعا لذلك، وبازدهار الحركة المسرحية، والانتاج السينمائي تضاعفت أرباحه، فشيد فيلته الأنيقة في الدقي، واقتنى المرسيدس، وبخلاف اعتداله القديم، أفرط في الطعام والشراب فزاد وزنه لدرجة أصبح من المتعذر معها التعرف عليه من أول نظرة، ولم يبق من مزاياه القديمة إلا ثقافته الواسعة، وذوقه المدرب في شتى ألوان الفن»، والشهادة الثانية لمحمد يوسف نجم، إذ يقول «عاد مندور إلى الأدب، وقد هاضه المرض، وارهقته ضرورات السياسة، وحملته ضرورات العيش على أن يقبل كل عمل يوكل إليه، فاتسمت أبحاثه في هذه الفترة بالسرعة والنقل، والمجازفة في الآراء وبالسمعة التي تعب في بنائها، وجاءت الصحافة الأدبية ضغثا على إبالة هو يكتب في المجلات الأسبوعية والشهرية، وفي الصفحات الأدبية من الصحف اليومية ،ويحاضر في قسم الصحافة بكلية الآداب، وفي معهد الدراسات العربية العالية، وكل ذلك فرضته عليه متطلبات العيش والشعور بدنو الأجل.

هذه صورة لا تسر أحدا لناقد نحترم إنتاجه، وأديب نجلّه.

ذاكرة الينابيع: حوارات في الثقافة والأدب

■ عن دار الشروق للنشر والتوزيع في عمان، وبدعم من وزارة الثقافة الأردنية صدر كتاب «ذاكرة الينابيع في الثقافة والأدب» للصحافية عزيزة علي، وهو حصيلة عملها في الصحافة الثقافية حيث ضم 18 حوارا أدبيا مع كل من د. إبراهيم السعافين، د. إحسان عباس، جمال ناجي، حزامة حبايب، خليل السواحري، د. رفقة دودين، د. رزان إبراهيم، سامية عطوط، سعود قبيلات، د. شكري الماضي، طاهر العدوان، فخري قعوار، فيصل الحوراني ،ليلى الأطرش، محمود شقير، مي الصايغ، يوسف ضمرة، يحيى يخلف.

يقول الإعلامي والأكاديمي د. صالح أبو اصبع في كلمة له على الغلاف الأخير من الكتاب «.... قامت الصحافية عزيزة علي بسبر أغوار مجموعة من النقاد والأدباء والمفكرين في حوارات دافئة وعميقة حول قضايا الأدب والنقد والثقافة، ويتضح لمن يقرأ حواراتها أنها تتسم بإعداد واعد للقاءات الصحافية فهي تسعى إلى استكشاف قضايا، وبحث عن جوانب غير معروفة عن الذين تحاورهم.

ولعل أهمية هذه الحوارات تكمن في أنها توفر فرصة للقارئ للوصول إلى جوانب شخصية لم يعرفها عن هؤلاء الأدباء والمفكرين والنقاد، كما استطاعت أن تقدم رؤاهم في بعض القضايا الإبداعية التي تخص تجاربهم.

الكتاب ضم أيضا مقدمة للصحفية علي، وتقديماً آخر لأحد المحاورين وهو د. يوسف بكار أستاذ النقد الأدبي بجامعة اليرموك الأردنية.

مغاني النص: دراسات تطبيقية في الشعر الحديث

■ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان وبيروت وبدعم من وزارة الثقافة صدر كتاب «مغاني النص: دراسات تطبيقية في الشعر العربي الحديث» للناقد الأكاديمي الأردني د. سامح الرواشدة، ويسعى الكتاب كما يقول مؤلفه إلى مقاربة النص الشعري من داخله بعيدا عن التنظيرات النقدية المجردة، إلا في الحدود التي كان التنظير فيها ضرورة للتمهيد للدراسة التطبيقية انطلاقا من تصور مؤداه أن النص الإبداعي جدير بأن يحاور ويستنطق ويحلل استنادا إلى أدوات يستدعيها النص من ذاته، وليس بوصفها متعاليات تفرض عليه من خارجه بصرف النظر إن كانت متحققة فيه أو غائبة عنه فيجهد عندئذ الناقد في البحث عن تجليات لهذه الظاهرة التي افترض وجودها مسبقا، وتخريجات تبدو مفتعلة ومضطربة، أقول: تسعى هذه الدراسات إلى مقاربة بعض النصوص المدروسة، من مثل المكون التراثي في شعر نزار، والإيقاعي في شعر عرار، والتوازي في شعر يوسف الصائغ، وتحولات بحر المتدارك في شعر إبراهيم نصر الله، وكان يحدو هذه الدراسات أمل في كشف العلاقات البنيوية داخل النصوص، ودورها في خدمة بقية الأبنية النصية داخل الأعمال المدروسة، ولعل هذه المجموعة من الدراسات التي تبدو متباعدة في قضاياها، ومواطن تطبيقها، إلا أنها ـ في ظني ـ تكشف مغاني النص، احتفاله بسماته النوعية، وجامعها الآخر أنها جعلت بعض فعاليات النص على المستوى الفني والتشكيلي حقلا لاشتغالها».

«جرش الثقافية»: إدوارد سعيد وهجراته المتعاقبة في النص

■ عن جامعة جرش صدر العدد الثالث من المجلة الفصلية «جرش الثقافية» التي يترأس تحريرها الناقد والأكاديمي المعروف د. خالد الكركي، وقد جاء العدد حافلا بالمواد الإبداعية والنقدية والفكرية والترجمات، فكتب د. الكركي مقالا افتتاحيا بعنوان «البحث عن الحرية» جاء فيه «.. العالم قرية، نعم، لكنها مسلوبة الإرادة، تابعة للسيد الذي تنكر لمبادىء الحق والعدل وخضع لليمين المتصهين، وغرق في صناعة الجوع باسم التنمية، والاستبداد باسم الديموقراطية والتجزئة باسم التعددية، وخراب الروح باسم الإصلاح، واخترق السيادة، وأصابه صمم حتى لا يصغي إلى أنين المعذبين تحت أعباء رأسمالية وحشية تعي أنها انفتاح وحرية اقتصادية وهي حالة من التعفن والانحلال والخراب. إنهم في فراغ روحي خانق، سطحيون في نظرتهم للنضال الإنساني الذي وقفوا ضده، وذبحوا الملايين في غزوهم وتخريبهم وأنانيتهم وتفسيرهم الأحادي النفعي لحركة التاريخ حتى دمروا هيروشيما ونجازاكي وقندهار وبغداد وغيرها كثير. إنهم أعداء الإنسانية ويجب أن يتحرر المثقفون من وهم » القرية الأمريكية الفاضلة «فالأمر واضح اليوم، استعمار جديد وشعوب مسلوبة الثروات والإرادة، وحكام يتحولون إلى قناصل في امبراطورية روما الجديدة، لا يستوعبون التجربة الإنسانية، ويتنكرون لثقافتهم الوطنية، ويغرقون في وهم انهم في المشهد الإنساني يشاركون.

أما مواد العدد وكتابها فكانت كما يلي: المبتدأ ـ د. فريال العلي سكرتيرة التحرير، الإصلاح أزمة المصطلح أم أزمة الواقع السياسي ـ ثابت الطاهر، إدوارد سعيد ـ هجرات متعاقبة في عالم النص والثقافة ـ د. محمد شاهين، صياغة الهوية وعولمة الخيال ـ السيد ياسين، الحركة الأدبية والعولمة ـ جدل التحديات الثقافية والأدب ـ هدى أبو غنيمة، السياسات الثقافية ـ مقدمة لنقد الواقع ـ هاشم غرايبة، الثقافة والتنمية ـ د. إبراهيم بدران، هل هناك ثقافة إقليمية؟ ـ د. علي الشرع، الدور الثقافي للجامعات الأردنية ـ د. صلاح جرار، الواقع الثقافي في الأردن ـ محافظة إربد نموذجا ـ د. محمد مقدادي، الثقافة في المحافظات ـ نايف النوايسة، من زمن المثقف إلى زمن المبدع ـ صلاح حزين، مساءلة ابن عربي ـ شعر أمجد ناصر، أما من باعث ثان؟ شعر نادر هدى، ذاكرة الرعب ـ شعر سيف محاسنة، خليل الشيخ في كتابه «السيرة والمتخيل» ـ د. خولة شخاترة، زوبعة الدهور وفاطمية أبي العلاء ـ حكمت النوايسة، الحداثة المعطوبة لمحمد بنيس ـ غربة السؤال وهيمنة اللا معرفة ـ حسين نشوان، الرواية العربية بين الأصالة والتغريب ـ د. مريم حمزة، بناء الشخصية الروائية ـ د.صالح ولعة، التعددية الثقافية وخطاب الدقرطة ـ شهلا العجيلي، دلالة الواقع العربي في كاريكاتير ناجي العلي، غازي انعيم، مدينة إربد والرحالة الأجانب ـ د. محمد علي الصويركي، في مصادر التراجم الأردنية ـ كايد هاشم، الشعر أكثر أهمية منا ـ ليونيل راي ـ ترجمة نوال العلي، تكنولوجيا الاتصال وتأثيراتها اللغوية والأسلوبية ـ د. تيسير أبو عرجة، الحبل السري بين المواطن والجريدة ـ فخري قعوار، السلطة والمعرفة ـ د. خالد الجبر، إخفاقات الفكر العولمي ـ مجدي ممدوح، شهادة في معلم التاريخ عبد الكريم الغرايبة ـ د. علي محافظة، إبراهيم طوقان في مئويته ـ بورتريه المتطرف الجميل ـ د. المتوكل طه، أبي إبراهيم ـ في الذكرى المئوية لإبراهيم طوقان ـ جعفر طوقان، مكتبة جرش ـ إبراهيم جوخان، آخر الكلام ـ يحيى القيسي.

قـــص

الكلـــب

محمد اكويند*

■ أفلت من قبضة يده، بل ينفلت منه الحبل المضروب، طوقا حول عنقي. أنسل تحت السيارات الرابضة جنب الطوار، ينقر الأعمى بعصاه، باحثا عني: «فوكس...فوكس» اللعين لا يكف، يجثو على ركبتيه، ثم يأخذ في التلويح بعكازه تحت السيارات، الواحدة، بعد الأخرى. أختبئ وراء إحدى عجلتي السيارة الخلفيتين. أصغي إلى لهاثه وسخطه الممزوج بالتهديد والوعيد. كثيرا ما كنت أتفادى ضربات عصاه بمهارة عجيبة.. الضربات التي تحدث ارتطاما قويا، بهياكل السيارات الجاثمة، هناك. أقعي على قائمتيّ الخلفيتين، متحفزا للهروب إلى الجهة الأخرى، أرى ظل الأعمى ينأى عني بعيدا، يبدو طويلا كعملاق يمشي فوق ظل طابور السيارات المنعكس على الإسفلت، أنبطح أرضا، لأتفرج على هذا العرض، الذي يشبه عروض الظل. في الهوة السحيقة التي ينتهي بها ظل الطابور، يهوي العملاق وعصاه إلى الأبد.

تخلصت من هذا الدنس (المسمى حبل) نفضت فروي الكثيف من الغبار، وأعدت همتي ورشاقتي، ثم هرولت نحو ـ المقهى ـ المركون زاوية الدرب، كدت أقترف حمقا، أضيفه إلى حمقي، عندما أخذت ألعق حذاء أحد الزبناء الثلاثة، فور اندساسي تحت طاولتهم، كان نعل حذائه لينا، وشديد اللمعان يغري بذلك، فكان صاحباه، لا يكفان عن السجال والجدال الساخن بينهما، وهو يحاول تهدئة الجو وتلطيفه، مرة، مرة، يغير وضع رجليه، مما اضطرني إلى استقامة جذعي بقائم الطاولة، كنت أكون في مخيلتي صورة عن وجه صاحب الحذاء، ما استنتجته من صوته العذب، إلا وجها بشوشا، عكس وجه الأعمى العبوس، وما يدعم صدق تصوري تراجعه السريع عن انفعالاته، وتبريراته اللبقة. أحيانا تخوننا حاسة الشم والبصبصة عند الحاجة.

ينفض جمع الرجال الثلاثة، أتمطط استعدادا للاحقة الرجل البشوش. كادت قدمه تدوسني، تنبه إلى وجودي، هشني برجله ـ هش ـ خفف من وقع سيره، أترك بيني وبينه مسافة، احتياطا من الركلات المفاجئة كان كلما التفت وجدني أتبعه. نهرني. أحنيت رأسي كإشارة إذعان، توقف ثانية، أخذ يحدق في كما لو كان يتفحصني، بدوري حدقت فيه متفحصا، تورد وجهه البشوش احمرارا، أسدل جفون عينيه خائفا، ثم تمتم بكلمات مسموعة: «إن كنت من أهل الإنس، فمرحبا بك، وإن كنت... فحال الله بيني وبينك». كدت أضحك من سخافته، استأنف سيره، أدار رأسه إلى الخلف، فوجدني بمحاذاته، تماما..أجمل ما في أصحاب برج ـ الحمل ـ أنهم وديعون وطيبون، ومسالمون، أطعمني من طعامه، وقاسمني دفء بيته، أخذت أنامله لا تكف عن مداعبتي، ألعقها بلساني الدقيق، كتحية متبادلة بيننا، أحيانا أزوي ذيلي بين قائمتيّ الخلفيتين، وأزوم ملتفا حوله فرحا، بقدومه، أو استعدادا لمرافقته. أبالغ في تدللي، (كنت أعرف أن خصلة الدلال لا ترتوي أبدا.) يقاسمني قهوة مسائه، ويفرجني على مجلاته المصورة، أحيانا أنط فوق سريره، أمد عنقي طويلا لملامسة الرفوف العلوية التي بها أمهات الكتب النادرة، يمسد على فروي اللين (بفضل عنايته) ويحثني: «ذوقك سليم». للكلاب غدرها قبل غدر الزمن، فلولا ثمل الأعمى، لظللت ضالا بين الحانات،